

# عبدالجبار اليعيا ودور الفن ( 1 / 2 )

## المرسم

### حازم اليعيا



ممتدة إلى أفق غائب عن اللوحة وبؤرتها. واليد الأخرى ممتدة براحةً وارتخاء مطمئنة بهدائها. كيف لا ينتابني شعور بالثقة والفخر في آن واحد؟ علما بأنه رسم اللوحة عام 1983 وعرضها في معرضه الرابع، ويذكر في إحدى لقاءاته الصحفية آنذاك: "إنني أحاول أن أعطي الجمهور فكرة عن مشاركته في

أن أعطي الجمهور فكرة عن مشاركته في بناء حياته، ومن ثم بناء المجتمع عن طريق مشاركاته مع إخوانه فيما يفيد الآخرين. والوسيلة الوحيدة للفنان لإبراز أفكاره هي المعرض... ولم أكن منقطعاً في هذه السنوات... بل كنت أستغرق في هضم هذه الفترة السابقة للخروج بشيء جديد."<sup>(5)</sup>

وإن كان يترحم على أيام البطحاء ومحلات الرسم في السبعينيات بقوله: "رحم الله أيام البطحاء ومكباتها وألوانها الزيتية والمائية الرديئة الصنع. أين نحن الآن من أيام زمان؟ كانت النقود الورقية تخلو من الصورة وكذلك جواز المرأة! ... وكان ... وكان."<sup>(2)</sup> فماذا سيقول الآن رحمه الله، عندما تتفوق الخدمات والأنشطة والفعاليات الثقافية في القطاع العام على القطاع الخاص لتصبح معيار الجودة الذي نحتذي به؟ هل هي رؤية استشرافية أم الواقعية الحديثة الذي كان يذكرها في مقالاته؟ "امتدادي واقعي حديث لكنها واقعية مستقبلية تتعامل مع الواقع كما يتصوره الفنان ليس الواقع التسجيلي وإنما الواقع الذي ننشده."<sup>(6)</sup> وفي مقالة

هناك علاقة طردية بين ثقافة وحضارة الشعوب، ومراحل تطور ورقبي الفنون فيها. والمتابع لمسيرة عبدالجبار اليعيا الفنية والأدبية يلاحظ تركيزه على أهمية دور الفنون وأثرها الإيجابي في المجتمع وبالخاص نشاطه المستمر في مجال الفن التشكيلي. حيث "تساهم الفنون في خلق جو اجتماعي إيجابي يسوده الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع. وتُشعرهم بمزيد من الفخر والانتماء لمجتمعهم"<sup>(1)</sup> واكتشاف أفكار مختلفة تحفز على الإبداع واتساع الأفق. كما إنها تساهم في الحفاظ على تاريخ وتراث المجتمع وترسيخ هويته الثقافية والاعتزاز بها. وعلى الرغم من اهتمام عبدالجبار اليعيا بالفنون قاطبة اهتم بالفن التشكيلي، وبرأيه "ينبغي - بالضرورة - أن يكون الفن هادفاً وعقلانياً وليس مجرد لوحة تجميلية تعلق على جدار فحسب."<sup>(2)</sup> ويرجع الفن التشكيلي على أنه الصورة الأولى للفكرة قبل تنفيذها على أرض الواقع، بل كل ما يتخيله الإنسان وما يفكر فيه من خط ولون بهدف الصناعة والابتكار، فيذكر في إحدى الندوات: "هو تصور أولي لأفكار المصمم والمهندس والمخترع والنجار أنه الخطوط والألوان والمساحات المتمثلة في الذهن أنه شكل هيكل الطائرة قبل أن تصبح طائرة وفي شكل السيارة في طراز الملابس وألوانها في شكل إناء فخاري أو بلاستيكي نجده في الطباعة والسينما والمسرح، نجده في التعليم ووسائل الإيضاح وتربية الذوق والتذوق وعلم الجمال."<sup>(2)</sup>

فحينما تتأمل لوحة المسيرة والرجل بثوبه البني سامقا فوق سماء اللوحة والأمواج دوامة تحت قدميه وهو على ثبات واتزان المتمكن بمهارة عالية، مما يدل على ثقة وسيطرة وإتقان ركوب الموج، ما يسعني إلا أن أشعر بأن الأرض تحت قدمي تغدو أكثر صلابة مما هي عليه. قيادة فذة بيد ممتدة إلى أفق غائب عن اللوحة وبؤرتها. واليد الأخرى ممتدة براحةً وارتخاء مطمئنة بهدائها. كيف لا ينتابني شعور بالثقة والفخر في آن واحد؟ علما بأنه رسم اللوحة عام 1983 وعرضها في معرضه الرابع، ويذكر في إحدى لقاءاته الصحفية آنذاك: "إنني أحاول



لوحة المسيرة

بناء حياته، ومن ثم بناء المجتمع عن طريق مشاركاته مع إخوانه فيما يفيد الآخرين. والوسيلة الوحيدة للفنان لإبراز أفكاره هي المعرض... ولم أكن منقطعاً في هذه السنوات... بل كنت أستغرق في هضم هذه الفترة السابقة للخروج بشيء جديد."<sup>(5)</sup> وإن كان يترحم على أيام البطحاء ومحلات الرسم في السبعينيات بقوله: "رحم الله أيام البطحاء ومكباتها وألوانها الزيتية والمائية الرديئة الصنع. أين نحن الآن من أيام زمان؟ كانت النقود الورقية تخلو من الصورة وكذلك جواز المرأة! ... وكان ... وكان."<sup>(2)</sup> فماذا سيقول الآن رحمه الله، عندما تتفوق الخدمات والأنشطة والفعاليات الثقافية في القطاع العام على القطاع الخاص لتصبح معيار الجودة الذي نحتذي به؟ هل هي رؤية استشرافية أم الواقعية الحديثة الذي كان يذكرها في مقالاته؟ "امتدادي واقعي

أخرى يذكر: "مهمة الرسام هي نشر رسالة. الفنان الحقيقي يرى ما هو أبعد من وقته."<sup>(7)</sup> ولو تعمقنا بالخطوط والمساحات اللونية ودلالاتها الحركية والرمزية نلاحظ تمكن الرجل من تسيير الدوامة بلون ثوبه البني تحت قدمه اليمنى بتلقائية وثقة المتمكن ليزيح الدكنة من أمامه بحركته الانسيابية ويكشف بعون القدير عن سماء أكثر صفاء وإشراقاً لمستقبل جيل تكاد تكتمل حدود معالمه. رؤية ملحمية للإنسان فعلاً كما ذكر "إنني أحاول أن أعطي اللوحة جوا ملحميا يدفع جمهور المعرض إلى تفحص

فحينما تتأمل لوحة المسيرة والرجل بثوبه البني سامقا فوق سماء اللوحة والأمواج دوامة تحت قدميه وهو على ثبات واتزان المتمكن بمهارة عالية، مما يدل على ثقة وسيطرة وإتقان ركوب الموج، ما يسعني إلا أن أشعر بأن الأرض تحت قدمي تغدو أكثر صلابة مما هي عليه. قيادة فذة بيد

بلون الطين تكوّن، فتمتد إلى لحظة التقاء اليدين تحتضن الأفق.

وعلى هذا النحو أدرج لوحة تحولات تحت تصنيف اللوحات الاستشراافية لأختم الجزء الأول من المقالة بقراءة أولية لعناصر اللوحة، مع احتضان اليدين للأفق شمسا غامضة بلونها البنفسجي والبحر الهادئ بصفائه، ينساق النظر إليهما مطواعاً ليتربق المشهد. النقيضان والمكملان لبعضهما في سنة الحياة يهيمنان على اللوحة من جميع جوانبها ومفرداتها؛ بين اليمين واليسار في المذكر والمؤنث، وبين العلوي والسفلي، في الملموس والمجرد. وهنا يوازن عبدالجبار اليحيا المساحتين العلوية والسفلى في الحوار بين العقل المادي وحذره، برسمه هاوية السفح - أعلى اللوحة - والدافع الوجداني للسعي قدما باللونين الأزرق والوردي متفانلاً - أسفل اللوحة - وبعيون كأنها نوافذ وفاه مفتوح ينادي الجهة الأخرى، هل هو سجين أحلامه الوردية؟ وهي على الضفة الأخرى، من على جدار البيت تطل برأسها للمنادي، هل كانت حبيسة جدرانها الملونة بالأزرق والأصفر والأخضر والبني؟ والغريزة الإنسان تتحول يده بعد مرورها عبر الشيخ المسن، بلون الطين تكوّن، فتمتد إلى لحظة التقاء اليدين تحتضن الأفق.

لوحة تحولات رسمت عام 1983

وعرضت في نفس معرضه الرابع. يتبين من واقع نعيشه بأن البحر الهادئ بصفائه هي من صفات مجتمعا بقيادته الحكيمة. طيب الله ثراه، فناننا عبدالجبار اليحيا.



لوحة تحولات

- المراجع
- 1 - إيمان شماسنة، الفن ودوره في المجتمع، الرئيسية / أنواعات فنية / الفن ودوره في المجتمع، <https://mawdoo3.com> آخر تحديث 18 يوليو 2022
  - 2 - عبدالجبار اليحيا، "أفاق المستقبل (الثقافة والفنون) وما يتوقع للفنون التشكيلية من تطورات وما قد يعوق هذه التطورات"، ورقة مقدمة للمشاركة في ندوة "مستقبل الثقافة في البلاد العربية"، في مكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض، 21-26 أكتوبر 2000
  - 3 - السيد الجزائري، البعد الإنساني في لوحات عبدالجبار اليحيا، مجلة البارز، بدون تاريخ
  - 4 - عبدالجبار اليحيا، مجلة بروز، مارس 2001، العدد 19
  - 5 - عبدالجبار اليحيا فنان سعودي يتعامل بالألوان الساخنة - الصحفية غير معرفة، بدون تاريخ
  - 6 - عبدالجبار اليحيا، فنانون الخليج التشكيليون في معرضهم الثامن بالقاهرة - المجلة، 23 سبتمبر 1986، العدد 345
  - 7 - عبدالجبار اليحيا، عالم من الرمزية - إرينا روبرتسون - سعودي جازيت، 20 نوفمبر 1985
  - 8 - كمال حمدي، يصرخ النخيل، صحيفة الرياض، 22 أغسطس 1991

والإلغاز.. حتى في اعتماده على فكر ((التجريد)) المعروف بتعقيداته اللونية والدلالية..<sup>(3)</sup> وما تفردت وحدي باستخدام الصفة الاستشراافية لأعمال عبدالجبار اليحيا، حيث نوّه عنها - أيضاً - الأستاذ كمال حمدي في كتاباته النقدية، فيبين في مقالته ((للفرح بعض طقوس الحزن)) الصفة الاستشراافية للفنان ويتساءل في مقالة أخرى ((يصرخ النخيل)) "هل كان الفنان يتشوف من سياق سياسي يجري وبشفافية غير عادية وبصيرة نافذة حادة؟" - وهذا في سياق تحليله للوحة ((يصرخ النخيل)) - فيستطرد

حديث لكنها واقعية مستقبلية تتعامل مع الواقع كما يتصوره الفنان ليس الواقع التسجيلي وإنما الواقع الذي نشده..<sup>(4)</sup> وفي مقالة أخرى يذكر: "مهمة الرسام هي نشر رسالة، الفنان الحقيقي يرى ما هو أبعد من وقته..<sup>(5)</sup> ولو تمعنّا بالخطوط والمساحات اللونية ودلالاتها الحركية والرمزية نلاحظ تمكن الرجل من تسيير الدوامة بلون ثوبه البني تحت قدمه اليمنى بتلقائية وثقة المتمكن ليزيح الدكنة من أمامه بحركته الانسيابية ويكشف بعون التقدير عن سماء أكثر صفاء

وأشراقاً لمستقبل جيل تكاد تكتمل حدود معالمه. رؤية ملحمية للإنسان فعلاً كما ذكر "أنتي أحاول أن أعطي اللوحة جوا ملحميا يدفع

جمهور المعرض إلى تفحص الأعمال وتذوقها ثم مناقشتها.. إنني لا أريد أن أقدم فكرة على (طبق جاهز) فإني أريد استعمال التكوين والخطوط المتداخلة في إبراز الفكرة بانسجام مع اللون ووحدتها التشكيل.. بل إنه لا بد من طرح الفكرة الرمزية بأسلوب واقعي حتى تقع المشاهد لمعرضك".<sup>(5)</sup> هذه لوحة

في نفس المقالة: "اليس هذا يعطي للفن قيمة أكبر من مجرد تصنيفه داخل مربعات المصطلحات ووصفه - ولو بانتصار له - بأن فن طالع من شعور بالانتماء!!"<sup>(8)</sup> وعلى هذا النحو أدرج لوحة تحولات تحت تصنيف اللوحات الاستشراافية لأختم الجزء الأول من المقالة بقراءة أولية لعناصر اللوحة، مع احتضان اليدين للأفق شمسا غامضة بلونها البنفسجي والبحر الهادئ بصفائه، ينساق النظر إليهما مطواعاً ليتربق المشهد. النقيضان والمكملان لبعضهما في سنة الحياة يهيمنان على اللوحة من جميع جوانبها ومفرداتها؛ بين اليمين واليسار في المذكر والمؤنث، وبين العلوي والسفلي في الملموس والمجرد. وهنا يوازن عبدالجبار اليحيا المساحتين العلوية والسفلى في الحوار بين العقل المادي وحذره، برسمه هاوية السفح - أعلى اللوحة - والدافع الوجداني للسعي قدما باللونين الأزرق والوردي متفانلاً - أسفل اللوحة - وبعيون كأنها نوافذ وفاه مفتوح ينادي الجهة الأخرى، هل هو سجين أحلامه الوردية؟ وهي على الضفة الأخرى، من على جدار البيت تطل برأسها للمنادي، هل كانت حبيسة جدرانها الملونة بالأزرق والأصفر والأخضر والبني؟ والغريزة الإنسان تتحول يده بعد مرورها عبر الشيخ المسن،

المسيرة رسمت في أوائل الثمانينيات قبل الألفية الثانية، وما زالت تحاكي واقعا مسترسلاً وأمواجاً من الزمن مُسابة، مزجت بين "الذاتي والجماعي".." الخاص والعام".." "الاجتماعي والكوني". فهي مسيرة بني آدم.. مسيرة مجتمعا بقياداتها.. مسيرة العائلة بأفرادها. وهذه الرؤية لم تكن غائبة عن الأستاذ السيد الجزائري لي بتحليله لمسيرة عبدالجبار اليحيا الفنية والشخصية حيث يقول فيه: "يحاول أن يقدم تجربته في أطار معادلة التوجه الإنساني.. الذي يجمع الأضداد والمخالفات في سياق جمالي واحد.. وينثرها عبر فضاء تشكيلي رحب.. يزاوج بين الخاص والعام.. الذاتي والجماعي.. الاجتماعي والكوني.. ومع أن هذا التوجه الذي يعتمد الاهتمام والانشغال بكل ما هو إنساني ومثالي وفكري.. ليس مقصوراً - فقط - على تجربة اليحيا التشكيلية.. إلا أن الذي يحسب لهذا الفنان السعودي العربي.. أنه شديد الارتباط بهويته وتاريخه وموروثه.. وفي حين ان المتأثرين بالفكر الفني الغربي.. يجدون صعوبة في إقصاء العوامل التأثيرية التي تغلغت في فكرهم، ونضحت على فكر لوحاتهم.. بقي هو - مع قلة آخرين - محافظاً على مكونات هويته.. لأن أعماله لم ترتكز على التغريب